ازدهـــار الطب في الأندلس وبعض أعلامه ـ أبوالقاسم الزهراوي أنموذجاً

أ. صلاح عبد السلام الكشت أ. زينب مفتاح التواتي
كلية التربيـــــــــة ـ جامعة الزنتان

المقدمـــــــــــــــة :

الحمد لله القادر فوق عباده ، المتعالي بعلمه وجلاله، الذي خلق الداء، وألهم الناس إيجاد الدواء، فتعلموا وعلموا وفقهوا أصول الطب والاستشفاء...

"بلاد الأندلس، فيها وجدت فصاحة العقول وسعة العلوم، وصحة العزائم، واستقرار العدل وسلامة المعاملة، مقر الخلافة الإسلامية في شبه الجزيرة الإيبيرية، ومجمع العلماء، ومقر الفنون والآداب والعلوم، وملوكها كانوا يتواضعون لعلمائها ويرفعون أقدارهم وكان ملوكها لا يقدمون وزيراً ولا مشاوره ما لم يكن عالما، وكان للقضاة بها المنزلة العالية والرتبة السامية، فصارت دار الهجرة للعلم .

فلقد بلغت الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس مرحلة من التطور جعلت منها منارة للعلم والمعرفة، في مرحلة كانت فيها أوروبا تعيش عصور تخلفها، فإلى جانب دورها في الحفاظ على التراث الإغريقي، عملت على تطوير علوم الرياضيات، والطب، والفلك، والكيمياء، ومنها انتقلت هذه العلوم إلى أوروبا حيث ظلّ العديد من المؤلفات العلمية تُدرّس في الجامعات الأوروبية حتى القرن السابع عشر." (1)

بذلك يمكننا القول إنه جدال في أهمية الدور الكبير الذي لعبه العرب في تاريخ الطب، حيث وعند بزوغ شمس الإسلام على ربوع جزيرة العرب، وخروج أهلها من الظلمات إلى النور، نشأت الحضـارة الإسلامية على أسس الحضارات القديمة التي عفا عليها الزمن، فأعادت الحضارةُ العربية الإسلامية الحياة في العلوم المندثرة، ورعتها وحفظتها كي تكون تراثاً لجميـع بني البشر عبر التاريخ.

مشكلة البحث:

يدرس البحث أحوال الطب في دولة الأندلس، وفترة ازدهاره بشكل عام، حيث يشرح البحث الأفكار العامة والأسباب التي جعلت العلوم الطبية متطورة ومزدهرة في الأندلس، ومن أهم أعلام الطب في تلك الفترة التاريخية، ودراسة نموذج عنهم، ومن أهم التساؤلات التي سيجيب عنها البحث:

أولا: كيف ازدهر الطب في الأندلس؟ ومن أهم أعلام الطب في تلك الفترة؟

ثانيا :من الطبيب الزهراوي؟ وما أهم إنجازاته في المجال الطبي؟

أهداف البحث:

1- القاء الضوء على العلوم الطبية الأندلسية.
2- معرفة أهم الأهداف والدوافع التي جعلت الطب الأندلسي متطوراً وله بصمة تاريخية في المجال.
3- تقديم صورة واضحة عن أهم الأعمال الطبية والاختراعات، ونماذج التقدم الطبي بالأندلس.
4- تقديم نموذج من أطباء وعلماء الأندلس وإنجازاتهم الطبية.

أهمية البحث :

تكمن أهمية البحث في إظهار الجانب العظيم لدولة الأندلس في مجال الطب، وأهم الإنجازات الطبية في تلك المرحلة، وأيضا أهم أطبائها، وتنوع قدراتهم وعلومهم الزاخرة، وفهم الأسباب والدوافع وراء ذلك التطور الطبي والمعرفي، وأثره على تطور العلوم الطبية حتى عصرنا هذا و- أيضا - لفت النظر إلى عالم جليل وعظيم بمجال الطب في تاريخ الأندلس هو الطبيب والعالم أبوالقاسِمِ خَلَفُ بْنُ عبّاس الزهراوي، وأهم إنجازاته الطبية.

منهج البحث:

اعتمدنا في هذه الدراسة على المنهج التاريخي؛ لتبيان وسرد أحوال العلوم الطبية الأندلسية، حيث يحدد هذا المنهج ذكر أحداث فترة تاريخية معينة، داخلها عدة فروع وتوجهات، يحدد الباحثان أحدها لدراسته ليسرده بطريقة تاريخية، ثم قام الباحثان بتقديم سيرة وترجمة مختصرة للطبيب العالم الزهراوي.

الدراسات السابقة:

اطلع الباحثان على دراسات سابقة عديدة ، ونظرا في أوجه التشابه والاختلاف، والتقاطع بينها ، وما الجديد الذي يمكن إضافته في البحث الحالي؟
يلخص الباحثان ذلك في النقاط التالية:

أوجه التشابه :

1- كل الدراسات السابقة تدرس الطب في الأندلس من الناحية التاريخية.
2- تدرس البحوث السابقة مراحل تطور وازدهار الطب الأندلسي.
3- تقدم الدراسات السابقة ترجمة لأهم العلماء الأطباء بالأندلس.

4- بعض الدراسات فضلت دراسة الطب الأندلسي وتأثيراته السياسية، وارتباطه بالعلوم الأخرى.

أوجه الاختلاف:

1- لم تركز الدراسات على أنواع الاختراعات الجديدة في الطب الأندلسي.

2- لم تقدم الدراسات تفصيلا كافيا عن تأثير تطور الطب الأندلسي على الطب في العصور التالية.

3- لم تقدم الدراسات الأسباب والدوافع والبيئة العلمية للتطور الطبي الأندلسي.

الدّراســــــــات السّابقة :

1- دراســــة : لميس ليث المهدي بعنوان: أعلام الطب في الأندلس عهد ملوك الطوائف إلى عهد الموحدين ، [مجلة جامعة كركوك للدراسات الإنسانية، المجلد:14، العدد: 2، لسنة 2019م] ، شهدت الأندلس مرحلة تحول من دولة واحدة مرهوبة الجانب إلى دولة مقسمة إلى عدد كبير من الممالك الصغيرة تحكمها أسر متفرقة ، وذلك في ذي الحجة سنة 422 هـ , حين أعلن أهل قرطبة وعلى رأسهم أبو الحـــزم جهور بن محمد إلغاء الخلافـــة الأموية وبداية عهد جديد للأندلس أطلق عليه) دول الطـــوائف (ولكن رغم التشرذم السياسي وانحـــلال الدولة المركزية الذي أصاب دولة الأندلس ، إلا أن العطاء العلمي لم يتوقف في الأندلس؛ بل استمر بتشجيع ملوكها ، وازدادت العناية بالطب والصيدلة واستطاع الأندلسيون أن يحققـوا في تلك المجالات نتائج علمية رائعة من مؤلفات تشمل جهود وأعمال علماء أفذاذ ارتفعوا إلى الذروة في تفكيرهم ومستواهم العلمي الرفيع ، وسوف أحاول من خـــلال هذا البحث أن أوضح ما حققه هـــؤلاء العلماء في علم الطب على وجه الخصوص، وأعرض بعض مؤلفاتهم .

2- دراســــــــــة: عمـــري نعيمة بعنوان: مهنة الطب في الأندلس من خـــلال الأحكام الكبرى لابن سهل الأندلسي ،[مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية ، جامعة محمد بوضياف، الجزائر، 2017م.] إن ممارسة مهنة الطب في الأندلس كانت ذات مكانة مرموقة تحكمها عدة أحكام قدمها لنا صاحب كتاب الأحكام الكبرى المكنى بابن سهل الأندلسي ، فمن جملة ما أضافته وثائق الكتاب أنها أبرزت دور الطبيب في تشخيص الأمراض ومعرفة أنواعها، كما أظهرت نوعا من التفاعل بين مهنة الطب والمجتمع الأندلسي، وكما أتى فيها ذكر للطب الحيواني.

3 ـ دراســــــــــــة : تقـــي عبود الموساوي بعنوان: تطور الطب في الاندلس منذ عهد خلافة بني أمية وحتى نهاية عصر الموحدين (273-620هـ / 886-

1232م)، [مجلة جامعة بابل، العراق، 2013م، العدد 21.] كانت الأندلس تمـــر بظروف سياسية متقلبة ، مستقرة أحيانا ومتدهورة أحيانا أخر بسبب الفتن داخلية ، أو بسبب المد المسيحي، وكانت الأندلس تتعرض لمجاعات متكررة بسبب الظروف الطبيعية والمناخية الصعبة ، كالجفاف الذي كانت تتعرض له من حين لآخـــر، وغارات الجراد التي كانت تأتي على الأخضر واليابس، فنتج عن ذلك موت كثير، حتى كان يدفن في القبر الواحد عدد من الناس دون تغسيل ولا صلاة ، فترتب عن ذلك كله انتشار الأمراض المتعددة والأوبئة بهذه المنطقة.

4ـ دراســـــــــة : علي محمد، سميو، بعنوان: أبوالقاسم الزهـــراوي وأثره في علم الطب، [مجلة الساتل، جامعة مصراتة، ليبيا، العدد: 13، 2015م.] أبوالقاسم الزهراوي من العلماء الذين برزوا في العلوم الطبية في الأندلس ، وكان جراحا وطبيبا، له مصنفات عديدة في الطب وغيره ، وله عدة اختراعات في مجال الأدوية الطبية، مما أسهم في مكانته العالية ، وإرثه الطبي العظيم الذي له فضل كبير في تطـــور الطب الحديث.

5ـ دراســـــــة : حسين ، رحاب، وآخرون بعنوان: أدوات الكي العلاجيـة عند الزهراوي (ت404هـ/ 1048م) وشرف الدين (ت 873هـ/ 1433م) : دراسة أثرية فنية مقارنة، [المجلة الدولية للتراث والسياحة والضيافة، جامعة الفيوم، جمهورية مصر العربية، المجلد 14، العدد 1، 2020م.] اهتم المسلمون بالطب والتداوي ، فترجموا المؤلفات الطبيـة القديمـة، وخلال المراحل التاريخية كوّنوا تراثًا طبيـًا، أسهم في نشـأة الطب الحديث ، وتتناول الدراسـة المكاوي كنموذج للأدوات العلاجيـة عند الأطبـاء المسلمين ، وتحديدًا أبوالقاسم خلف بن عباس الزهراوي الذي عاش بمدينة الـزهراء في القرن الرابع الهجرى /العاشر الميلادي، وعـند الطبيب شرف الدين بن على الحاج إلياس الذي عاش في إماسيـا في القرن التاسع الهجرى/ الخامس عشر الميلادى ، وتَرجمَ كتاب الزهراوي التصريف ، وزيّـن كتابه الجراحة بالتصاوير، التي توضح أشكال أدوات الكي التي أخذها عن الزهـراوي، وكيفيـة استخدامها بعدما عُدلت وتطُورت، وذلك لاستقـراء التطور الحادث في العلوم الطبية بين المشرق الإسلامي والمغرب ، خلال فترة زمنية امتدت خمسة قـرون، وتـوصلت الدراسـة إلى التأكيد على أهمية التراث الطبي الإسلامي ، وتسجيل التطور الذي حققه الأطباء المسلمون في استخدام أدوات الكي كوسيلة لعلاج عدد من الأمراض.

المبحث الأول ـ مفهوم الطب وأهميته :

الطب لغة واصطلاحاً:

الطب لغـة : طبب: الطب علاج الجسم والنفس، وقالوا تطبب له: سأل الأطباء" (2)، والطب علاج النفس، يطب من السحر والطبيب هو الحاذق بعمله، وجمعه أطباء" (3) ، والطب: "علاج الجسم والنفس، والطِّبُّ الرفق، والطبيب جمعه أطبة وأطباء، والمتطبب: متعاطي علم الطب، ومن يستطب لوجعه: يستوصف الدواء". (4) ، والطب: الرفق، والطبيب: المهار الحاذق بعمله، والجمع: أطبة، وأطباء. (5)

اصطلاحاً: اختلف الأطباء في بيان حد الطب، وتعريفه الاصطلاحي على ثلاثة أقوال هي : "علم يعرف منه أحوال بدن الإنسان من جهة ما يعرض لها من صحة وفساد"، ونُسب هذا القول لقدماء الأطباء، أو هو "علم بأحوال بدن الإنسان يحفظ به حاصل الصحة، ويسترد زائلها"، ونسب هذا القول لجالينوس ، أو هو :" علم يعرف منه أحوال بدن الإنسان من جهة ما يصح، ويزول عن الصحة ليحفظ الصحة حاصلة، ويستردها زائلة"، وهذا القول لابن سينا. ويعرفه ابن خلدون بقوله : "صناعة الطبيعيات، وهي صناعة تنظر في البدن ، وتعنى بحفظ الصحة، وبرء المرض بالأدوية والأغدية" (6)، وهذه التعريفات وإن اختلفت ألفاظها وعباراتها، إلا أنها متقاربة في المعنى والمضمون، لكن يؤخذ على التعريف الأول أنه اعتبر الصحة والمرض فرعين عارضين، والحقيقة والواقع بخلاف ذلك، فإن الصحة تعتبر أصلاً والمرض وحده هو الفرع والعارض الذي يطرأ.

أهمية الطب عن العرب والمسلمين:

يقول ابن تيمية : "إن في الدواء والعلاج ما هو مستحب ومنه ما هو مباح ، ومنه ما يكون واجب ، وهو ما يعلم أنه يحصل به بقاء النفس لا بغيره ، ويدخل في ذلك ما دل عليه من المنافع في الطب ، ويقول أبو حامد الغزالي: " الطب من فروض الكفاية هو علم لا يستغنى عنه في قوام أمور الدنيا إذا هو ضروري لحاجة بقاء الإنسان" (7) ، لذلك فإن الطب من أهم العلوم التي برز بها العرب واشتغلوا بها، لما لها من فضل ومن فائدة وذلك ما يحث عليه الإسلام، فالقرآن الكريم به عديد المبادئ التي تهتم بجسم الإنسان وصحته، والتي من خلالها فهم العرب أهمية ذلك فدرس الطب وعلم وهو فقهوا به". (8)

الدور العلمـــي للحضـــارة الإسلامية في الطب :

الحضارة الإسلامية دائماً سبّاقة فِي كُل مَجالات العُلوم وَالفنون ، وقد كَان فَضلها عَلى الغَرب كبيراً في شَتى المَجالات؛ فالحضارة العربية الإسلامية سَبب النهضة التي يَعيشها الغَرب وَيَتنعم بِها "وَقد بَرز فِي تَاريخ الحَضارة الإسلامية عُلماء أعـــلام تَركوا بَصمات عَظيمة فِي صَرح الحَضارة الإنسانية بفضل ما قدموه من إبداعات واكتشافات غيّرت مَجرى التاريخ في شتى المَجالات؛ وَمنها المَجال الطبي والذي كَان لِلعرب بَاع كَبير فيه ، ويُعتبر العَالم المُسلم أبو القَاسم الزَّهراوي مِن أَشهر عُلماء المُسلمين فِي هَذا المَجال؛ فَهو المؤسس والرائد الأول لِعلم الجِراحة، ويُعد ثَالث الثَلاثة النَوابغ مِن الأطباء العَرب بَعد الرازي وابن سينا". **(9)**

"ومن أسس تطـــور الحضارة العربية الإسلامية وجود أعـــلام أفذاذ في شتى العلوم ، قدّمُوا مصنفات وكتب واختراعات جليلة ، ما زالت مصدر معرفة أساسي ومؤثر في العلوم إلى يومنا هذا ، وعلم الطب أحـــد هذه العلوم التي وصلت ذروتها في تاريخ الأمة العربية الإسلامية في دولة الأندلس ، فقدمت تلك المرحلة عديد الاختراعات والمصنفات الطبية ، والصحيح أن المسلمين كانوا سبّاقين إلى تحقيق الإنجازات العلمية الهائلة في مختلف المجالات والتخصصات ، والصحيح - أيضاً - أن تلك الإنجازات العلمية تمثل « ريادات » غير مسبوقة حققها المسلمون بدافـــع من قيم دينهم وتعاليمه ، وقدّم المسلمون والعرب للحضارة العالمية إسهامات عديدة في مختلف جوانب العلوم الطبية ، استفادت الأندلس وغربي أوروبا من الطب العربي المشرقي الذي شهد تطوراً بارزاً في المشرق ، ثم انتقل بواسطة الأطباء والمؤلفات إلى الأندلس ، وقد كانت للتيارات الثقافية الواردة على الأندلس أثر في النهوض بالطب والرقي بدراساته المختلفة، حتى عُدُّ الطبُّ والفلك والرياضيات والكيمياء أهمَّ العلوم التي عُنِي بها العرب، وتُرجمت المؤلفات الطبية في جميع أوربا، ولم يَتْلَف قسمٌ كبير كما أصاب كتبَهم الأخرى. **(10)**

"اهتم أهل الأندلس بدراسة الطب والصيدلة ، وأنجبت الأندلس عباقرة الأطباء ، مثل الزهراوي، وابن رشد ، وابن جلجل، وغيرهم كثيرون ممن أبدعوا في اختصاصاتهم الطبية ، حتى قضوا ثمانية قرون من الإبداع الطبي على أرض الأندلس ، فقدموا الخدمات الجليلة للإنسانية، فما زال صدى إنجازاتهم يذكر في الجامعات ومراكز الأبحاث، وتمت ترجمة مؤلفاتهم إلى كثير من اللغات العالمية". **(11)** ، "والطبُّ مَدِين للعرب بعقاقيرَ كثيرةٍ كالسَّلِيخة ، والسنامَكِّيِّ، والرَّاوَنْد، والتمر الهندي، وجوز القَيء ، والقِرمِز، والكافور، والكحول ... وما إلى ذلك ، وهو مدين لهم بفن الصيدلة، وبكثير

من المستحضرات التي لا تزال تُستعمل كالأشربة واللُّعُوق واللزقات والمراهم والدهان والمياه المقطرة ... إلخ، والطب مدين لهم ، كذلك، بطرق طريفة في المداواة عاد إليها على أنها اكتشافاتٌ حديثةٌ بعد أن نُسِيت زمنًاً طويلًا ، ومنها طريقة امتصاص النبات بعضَ الأدوية كما صنع ابنُ زُهْر الذي كان يعالج المرضى المصابين بالقبض بإطعامهم عنبًا أشُرِبَ من بعض المُسْهِلَات". (12)

المبحث الثاني ـ الطب في الأندلس:

"كانت قرطبة حاضرة الأندلس، وأعظم مركز للعلوم والمعارف الإسلامية في أوروبا، في أثناء العصور الوسطى بالوقت الذي كان الجهل والظلام والمرض يسود العالم المسيحي، ولذلك كان يتوافد إليها الناس من المشرق والمغرب لنهل العلم، حتى بلغ ازدهار الطب والصيدلة ذروته في الخلافة الأندلسية (300-400هـ/ 912-1009م)، حيث أنشئت جامعة متطورة في قرطبة ". (13) ونال الأندلسيون تقدماً في علم الطب ، ولا شك أنّ هذا العلم يأتي عند الأندلسيين في مقدمة العلوم التطبيقية من حيث الاهتمام والعناية، ووفرة الإنتاج العلمي.

مكانة الطب عند علماء الأندلس:

كان لعلم الطب منزلته السامية في المجتمع الأندلسي ونجد صدى ذلك في شعر خلف ابن فرج الذي قال :

كل علم ما خلا الشرع ... وعلم الطب باطـــــل
غير أنّ الأول الطـــب ... علـى رأي الأوائـــل
هل تمام الشـــــرع إلاّ ... أن يكون الجسم عامل
فإذا كان علـــــــــيلاً ... بطلت تلك العوامـــل. (14)

"والأطباء المعاصرون يعيدون مبادئ ومناهج أسلافهم، إذ أن تلك المبادئ ظلت لمدة طويلة حاسمة ونهائية ، ثم ثبت خطوها، أما وسائل التشخيص وطرق العلاج فقد صار لزاما عليها أن تعتمد على أسس النظريات الجديدة.

بداية الحركة الطبية الأندلسية:

" ليس من السهل تتبع ومعرفة بداية الطب في الأندلس قبل تطوره وعلاقته مع أصول الدين وغيرها من العلوم، إلا أن الطب في الأندلس كان من الضرورات التي تحرك العقول ، وتحفز العلماء الذين مارسوا الطب على إجراء التجارب ومحاولة اكتشاف أنواع الأمراض والعلاج والأدوية ، حتى وصلوا إلى مرحلة متطورة صار فيها الطب علما قائماً بذاته". (15) ، و في القرنين الرابع والخامس الهجريين كانت الأندلس قمة

الإسلام ، ومجمع العلماء" لذلك كان بها خيرة الأطباء، وكانوا علماء وقضاء ووزراء وشعراء، إلى جنب أنهم أطباء". (16) ، وربما يمكننا تلخيص بداية الحركة الطبية الأندلسية ، إلى أن الطب في الأندلس جمع بين الإلهام والفكر من جهة ، ونتيجة التجارب والمحاولات من جهة ، حيث إن الأطباء في الأندلس درسوا الحالات ، ثم تأملوا الأمراض والعلل واستخرجوا الأسباب والمناسبات التي بينها ، فتحصل هم من جميع ذلك قوانين كلية ، ومبادئ عامة ، ولا يلزم أن يكون هذا مختصا بجماعة دون آخرين ، إلا بحسب تنوع المداواة ، فإذا انقرضت في أمة ونشأت في أمة أخرى وتطاول الزمان عليها نُسي ما تقدم ، وصارت الصناعة تنسب إلى الأمة الثانية دون الأولى.

الحركة الفكرية والعلمية في الأندلس:

إن الحركة الفكرية التي كان لها بصمة واضحة في الأندلس ، ترجع تلك الحركة والتي غلب عليها الطابع الديني في بدايتها إلى عصر " عبد الرحمن بن معاويـــــة" (*) الملقب بالداخل ، فحفلت البلاد آنذاك بجمهرة من الفقهاء والشعراء والأدباء الأكابر، وقد حظي الطب والعلوم الأخرى بعناية أمراء الأندلس عناية كبيرة، "ولم يكن حكام الأندلس أقل من العباسيين تشجيعا للعلم وتعظيماً للعلماء ، فقد أمروا باستيراد الكتب العربية من المشرق ، وترجمة الكتب اليونانية ، وتأسيس المكتبات ودور التعليم ، كما شجعوا طلاب العلم على الاغتراب لدراسة هذه المعارف في مواطنها ، وعن علمائها، في المشرق الإسلامي، وعلى سبيل المثال فقد ساعد الخليفة الناصر على جلب العلم إلى بلاده من أطراف الدنيا، وشجع من يشد الرحال لطلبه ، فسافر كثير من الأطباء : كأحمد بن يونس الحراني ، وأخيه عمر بن يونس إلى المشرق ورجعا إلى قرطبة يحملان ما حصلا عليه من علوم الفلك والطب ، وكان للرحلات العلمية في ازدهار الحركة العلمية في الأندلس ، حيث كان هناك تيار علمي زاخـــر بين المشرق والأندلس، ويتمثل هذا في أفواج العلماء بين القطرين ، حتى شُبه نشاطهم ذلك بحركة سير النمل في الذهاب والإياب". (17)، "ولذلك نجد في تراجم كثير من العلماء الرحْلة من هنا إلى هناك، وبالعكس ، فكانت المملكة الإسلامية بالنسبة للعلماء والرحَّالين كرقعة شطرنج، يذهبون فيها ويجيئون ، وكانت البلاد الإسلامية وحدة ثقافية واحدة رغم التجزئة السياسية التي أصابتها وجعلت منها عدداً كبيراً من الدويلات الهزيلة المنقسمة ، وكانت الأفكار والكتب والبضائع والأشخاص تنتقل بحرية تامة ، والأغلب أنّ انتقال الكتب كان يتم من الشرق إلى الغرب أي إلى الأندلس حيث أن الشرق كان ـ في عصوره الأولى على الأقل ـ متقدماً على الأندلس في التأليف، وكان الخليفة المستنصر أكثر شغفا بالعلوم ، فصرف

الأموال الطائلة لجمع المخطوطات ، وتأسيس دار علم علـى غرار بيت الحكمة في بغداد، ولذا فإن حكم الناصـــر يعد مستهل تدفق علوم المشرق في الطب إلى الأندلس ، وظهور نوابغ الأطباء والعشابين ، ويناظر صنيعه، صنيع أبي جعفر المنصور الذي كان أول خليفة عباسي دعى لنقل العلوم اليونانية إلى بلاد الإسلام". (18)

ازدهار الطب في الأندلس:

" ومع أن الطبيب "أبا إبراهيم الملحجي " الذي دخـــل مع عبد الرحمن بن معاوية إلى الأندلس قد لا يعد أول من نشـــر العلوم الطبية فيها، إلا أنه مارس الطب بأفكار وأساليب لم تكن معروفة في تلك البلاد ، فكان له أثره البالغ بطبيعة الحال، وعن قرطبة خصيصاً فإن كلًا من حمدين ابن أبان وعبد الملك بن حبيب السلمي القرطبي كان من أوائل الأطباء الذين ظهروا في إمارة قرطبة ، ولما بلغ الأطباء أشدهم التفتوا إلى التأليف ، ويحتمل أن يكون كتاب (الأبريشيم) ليحيى بن إسحاق، أول المؤلفات الطبية العربية الإسلامية التي ظهرت في وقت ازدهار الخلافة الأندلسية ، وهو غير كتابه الأبريشيم الذي كان يتداوله النصارى إبان الفتح الإسلامي للأندلس ، وتجدر الإشارة إلى أن أغلب مصادر العلوم الطبية في خلافة الأندلس كانت من المؤلفات التي دوّنت في عهد الخلافة العباسية ، أي : أنها عربية المصدر، من أعمال حنين ، والرازي، و المجوسي ، وابن سينا، وغيرهم ، أو من كتب أبي قراط، و دياسقوريدوس(**) ، ورمســـون، وجالينوس ، بصيغة العربية التي صنعت في دار الحكمة وربما كان كتاب ديسقوريدس في الأعشاب هو العمل الوحيد الذي ترجم في الأندلس في مجال الأعشاب ومع ذلك فسرعان ما أضاف أطباء الأندلس إلى تلك الأفكار التي وصلتهم إلى المشرق الإسلامي آراء ومبتكرات جديدة خالص أعمالهم واكتشافاتهم، خصوصاً في علم الجراحة والنبات، والصحة العامة، ومفردات الأدوية ، وتقدم في هذه العلوم إلى مدى بعيد من المعرفة ، وصارت في حواضر الأندلس مراكز حضارية وفي الطب لا تقل أهمية عن حضارة المشـــرق في بغداد والقاهـــرة، وكان للمشرق العربي الإسلامي تأثير على الأطباء الأندلسيين، وكانت بغداد ومنذ أواخـــر القرن الثاني الهجري من أكبر المراكز الحضارية في العالم كله، وما من أندلسي يرحل إلى الشرق إلا ولا بد أن دخلها على الأغلب، وقد أدرك الأندلسيون المكانة العلمية والحضارية التي تمتع بها مركز الحضارة والعلم والمعرفة والثقافة ببغداد" (19)، "ولما كان لبغداد هذه المكانة الكبيرة في قلوب الأندلسيين، فقد حرصوا على مواكبة كل ما يصدر فيها من مؤلفات في شتى العلوم، والعمل على جلبها إلى الأندلس، فكان بلد الأندلس في مجال العلوم والطب هو امتداد

للحركة العلمية المشرقية، حيث أن تأثير المشرق يشمل جميع ميادين الحياة الأندلسية، ذلك أن الأندلس لم تكن في وقت من الأوقات بمعزل عما يجري في حواضر العلم الإسلامية الأخرى كبغداد ودمشق والقاهرة وحتى فاس والقيروان، إذ كانت الصلات الفكرية والعلمية مستمرة بين مختلف أقطار العالم الإسلامي ينتقل بين ربوعها العلماء والطلاب والمؤلفون". (20)

وبذلك يتبيّن للباحثين استنتاجاً أهـــم أسباب ازدهار الطب في الأندلس:

1- اهتمام الخلفاء والحكام الأندلسيين بالطب، والعلوم، ودعمها، وتقديرها.

2- التنافس العلمي بين دولة المشرق العباسية ودولة الأندلس (الأموية)، وسعي كل منها للتقدم والابتكار الفكري والعلمي.

3- بيئة الأندلس الخصبة بالأعشاب والأشجار والحياة المتنوعة التي تساعد على دراسة العلوم الطبية.

4- توجه علماء الأندلس إلى الترجمة وقراءة المصنفات المختلفة من شتى بقاع الأرض والاستفادة مما جاء فيها.

5- توجه الأطباء للعمل الميداني والتجريبي وعدم اكتفائهم بالطب النظري.

6- الاستفادة من التقدم العمراني والصناعي، و- أيضا - السياسي في خدمة وتطوير الطب واستحداث بناء المستشفيات وجعل العلوم الطبية علوم مستقلة.

7- الرحلات العلمية لعلماء الأندلس لشتى الأقطار الإسلامية لنهل العلوم وجلبها إلى الأندلس.

المبحث الثالث ـ بعض أعـــــــلام الطب في الأندلس:

نبغ في الأندلس أطباء لهم باع طويل في العلوم الطبية ، شأنهم في ذلك شأن زملائهم في الشرق ، وتميز أطباء الأندلس بأنهم كانوا يجمعون إلى معرفتهم في الطب علوماً أخرى ، ويشغلون مناصب عالية ، فنجد منهم الوزراء كيحيى إسحاق ، ومنهم القضاة كسليمان أبي بكر بن باج، ومنهم الفقهاء، والشعراء، والفلاسفة ، والمؤرخون، وقد جمع ابن جلجل الأندلسي (ت:298هـ)، في كتابه " طبقات الأطباء والحكماء" جمع من أطباء الأندلس ، فعد منهم (22) طبيباً وحكيماً ممن سكنوا الأندلس ومارسوا الطب فيها ، ذاكرا أسماءهم وترجمتهم وأهم إنجازاتهم الطبية ، ومنهم كما ذكر:

1- إسحـــاق الطبيب:

وهو والد الوزير ابن إسحاق، يحكى له منافع عظيمة ، فاق بها جميع أهل دهره ، وكان في أيام الأمير عبد الله، ثم دولة الناصر حتى كان فيها من الأطباء المشهورين.

2- **يحيى بن إسحاق**:
كان طبيباً عالماً وحاذقاً، وكان وزيراً، وله في الطب مصنف من خمسة أسفار.

3- **أبوبكر سليمان بن بـــاج**:
كان في دولة الناصر، كان طبيباً نبيلاً، وكان أديباً، عالج الخليفة الناصر من رمد في عينه، وله باع طويل في الطب.

4- **أصبغ بن يحيي**:
كان متقدماً في صناعة الطب ، وكان ذا حرمة وجاه، ومقبول الشهادة عند العدول ، خدم الناصر بالطب.

5- **أبو الوليد محمد بن حســـين الكتاني**:
كان طبيباً حلو اللسان نبيلًا، محبوباً من العامة والخاصة، لم يكن يرغب في المال ولا في جمعه فكان يمارس الطب بدون مقابل، وكان لطيفا في علاج المرضى، عالماً نحريراً" (21) ومن مصنفاته: "كتاب التفهم، كتاب وقايات الأمراض الخطيرة". (22)

6- **ابن رشد:**
وُلد في قرطبة سنة 1126 م وتوفيَّ سنة 1188 م ، وإن اشتهر فيلسوفًا شارحًا لكتب أرسطو أكثر من اشتهاره طبيبًا ، وله تفاسير لكتب ابن سينا، وكتابًا في المداواة ، وكتابًا في السموم والحميات ... إلخ ، وطُبعت كتبه في الطب في أوربة". (23).

7- ابن ميمـــون:
الرئيس موسى هو الرئيس أبو عمران موسى بن ميمون القرطبي، (يهودي) عالم بسنن اليهود ، ويعد من أحبارهم وفضلائهم، وكان رئيساً عليهم في الديار المصرية ، وقد تميز في صناعة الطب، وتفنن في العلوم، وله معرفة جيدة بالفلسفة ، وكان السلطان الملك الناصر صلاح الدين يقدره، ويتخذه طبيباً، وقيل : إن الرئيس موسى كان قد أسلم في المغرب وحفظ القرآن واشتغل بالفقه ثم أنه توجه إلى الديار المصرية وأقام بفسطاط مصر". (24) ، ومن مصنفاته: الفصول في الطب ، ورسالة طبية في البواسير، وكتاب تدبير الصحة، وشرح أسماء العقار، ورسالة في الملسوعين" (25)

8- ابن زُهـــــــــر:
أبو العلاء زهر بن عبد الملك، توفي :525هـ ، ومن مؤلفاته: مجربات الخواص ، وكتاب الأدوية المفردة ، وجامع أسرار في الطب".(26)

البيئة الطبية والعلمية بالأندلس ومساهمتها في بروز العلماء الأطباء :

كان كثير من أطباء الأندلس مولعين بدراسة النبات وأزهاره وأثماره وجذوره ، وما يدخل منها في الاستعمالات الطبية ، ولا شك أن طبيعة الأندلس الغنية بصنوف النبات قد لفت أنظارهم إلى دراسة خصائص النبات الطبيعية ، ولذا كان من الملاحظ كثرة المشتغلين بالأدوية المفردة ، وأصل ذلك يعود إلى ذاك التنويع المتوفر ، فنبغ بعض العلماء في هذا الاختصاص ، وصاروا من أعلامه الكبار : كأبي عبد الله بن عبد العزيز البكري ، صاحب كتاب أعيان النبات والشجيرات الأندلسية ، والغافقي أحمد بن محمد ، صاحب كتاب العمدة في الأدوية المفردة ، وغيرهما". (27). ، "كما بـــرز في الأندلس أطباء برعـــوا في العلوم الجراحية ، كأبي الحكم الكرماني ، وأبي القاسم الـــزهراوي ، الذي يعد أشهرهم في هذا المجال ، وإلى هؤلاء يرجع الفضل بعد الله - سبحانه - في ظهور فضائل هذا الاختصاص في الطب ، ودخوله إلى أوروبا؛ إذ أضحت كتب الزهراوي من مقررات الدراسة في جامعاتها ، ومن المراجع الأولى للممارسين في الجراحة". (28) .، فأطباء الأندلس لهم بصمتهم التي لا يستهان بها في تاريخ الطب البشـــري فقد أبدعوا وتفوقـــوا فيه مقارنة ببقية أطباء عصرهم ، وإن استمرار بعض ابتكاراتهم كبعض أدوات الجراحة التي ابتكرها أبوالقاسم الزهراوي ، خلال تلك الحقبة وحتى عصرنا الحالي مع تقدم الطب الحديث الهائل ، له أمارة على حجم التقدم العلمي في مجال الطب في عصرهم

"إن شأن الطب والأطباء كان عاليا في الأندلس وحواضرها ومع علوه " فإنه من المرجح أن تكون بيمارستنات الأندلس على درجة عالية من الكفاءة ومع أنه لم يرد الكثير عن ذكرها إلا أن منافسة الأندلس لبغداد في مجال الطب آنذاك يعزز من احتمال وجود المستشفيات بكفاءة تقرب من كفاءة تلك التي كانت في بغداد، ومما عرف واشتهر من مارستنات (*) الأندلس، مارَسْتان قرطبة ، ومارَسْتان غرناطة"(29).

المبحث الرابع ـ الطبيب العالم أبوالقاسم الزهـــــراوي:

أبوالقاسِـــــمِ خَلَفُ بْنُ عبّاس الشهيرُ بالزَّهـــــراوي ، ولد 327هـ/936م ، وتُوُفِّيَ في قُرْطُبَةَ عامَ 404 هـ/1013م ، وأبو القاسم الزهراوي هـــو خلف بن عباس ، عالم وطبيب عربي من علماء الجراحة ، طوّر صناعة الأدوات الجراحية حتى أطلق عليه لقب : " أبو الجراحة الحديثة . (30) ، و"يعد من أعظم الجراحين الذين أنجبتهم البشرية عبر العصور والأزمان إن لم يكن أعظمهم على الإطـــلاق فهو رائد علم الجراحة ، والمعروف في أوروبا باسم (Abulcasis)، الذي تمكن من اختراع أولى أدوات الجراحة ، كالمشرط والمقص الجراحي ، كما وضع الأسس والقوانين للجراحة ، والتي

من أهمها ربط الأوعية لمنع نزفها ، واخترع خيوط الجراحة.. فكان أحد العلماء الأعلام التي سعدت بهم الإنسانية. (31)

"ولد في مدينة الزهراء بقرطبة عاصمة الخلافة الأموية في الأندلس، وفيها نشأ بدأ بتعلم العلوم من الصغر وحفظ القرآن الكريم ، وارتاد حلقات العلم في المساجد، واستفاد من التطور الحضاري الذي شهدته في ذلك الوقت ، حيث كانت موطناً خصباً للعلماء والدارسين والباحثين ، وبعد أن اشتد ساعده رحل إلى قرطبة، التي كانت تلقب دار العلوم نظرا للعلم الكبير المنتشر فيها ، وبدأ العمل في مستشفى قرطبة ، وفي هذا المشفى اكتسب خبرة كبيرة جدا في مجال الطب والأدوية، وبالتالي فإنه تمكّن من الجمع بين الطب والصيدلة ، وبعد أن ازدادت خبرته الطبية ، وأصبح متمكنا من الطب قرر دخول مجال الجراحة ، والذي كان يعد من أصعب المجالات وأخطرها . بعد ذلك تخصص الزهراوي باختصاص العلاج بالكي ، كما قام بابتكار عدد كبير من الأدوات الطبية ، والتي استفاد منها العالم الغربي بشكل كبير في نهضته الطبية ، ويعد الزهراوي أول من عالج " الثؤلول " باستخدام أنبوب حديدي ومادة كاوية ، كما ابتكر طريقة لربط الشرايين الكبيرة ، كما قام بوصف الحقنة العادية والحقنة الشرجية، ويعد مبتكرا عملية القسطرة وصانع أدواتها، كما اخترع المشارط ومناشير العظام، وأيضاً قام بابتكار خيطي الجراحة، كما كان له إسهامات في علم الأسنان، وأيضا في تطوير طرق الإجهاض، وذلك من خلال اختراعه لآلة استخراج الجنين الميت من الرحم، كما قام بابتكار عدة آلات لتوسيع الرحم، وأيضا هو من اخترع استعمال القطن لإيقاف النزيف، حتى بلغ عدد الأدوات الطبية التي قام باختراعها الزهراوي حوالي مئتي أداة". (32)

"ومن خلال النزر اليسير المتناثر هنا وهناك في المراجع القديمة ، يتبين لنا أن أبا القاسم الزهــراوي قد التحق بالعمل في مستشفى قرطبة الذي أنشأه الخليفة عبد الرحمن الناصر، حيث كان يُعمِل النظر في الطرق والوسائل المستخدمة في علاج المرضى ، ومع المطالعة وتلك المتابعة الجادة تكونت شخصيته العلمية، وترسخت قناعاته في المضمار الطبي حتى أصبح ذا خبرة عظيمة بالأدوية المفردة والمركبة، وجمع بين الطب والصيدلة، ثم إنه قد اقتنع بأهمية مزاولة الطبيب لفن الجراحة بدلاً من أن يوكل ذلك -كما كانت العادة- للحجّامين أو الحلاقين، فمارس الجراحة وحذق فيها وأبدع، حتى صار عَلَمًا من أعلام طب الجراحة، لدرجة أنه لا يكاد يذكر اسمه إلا مقترنًا مع الطب الجراحي". (33)

أهم مصنفاته (التصريف لمن عجز عن التأليف):

من العجيب أن ما نعرفه عن الزهراوي شحيح للغاية ، ولا يُعرف كثير من أخباره ، وليس أدل على ذلك من أن ابن أبي أصيبعة الذي خصَّ مؤلَّفًا بتراجم الأطباء قد اختزل ترجمته في فقرة واحدة ، كل ما فيها قوله عنه : "خلف بن عباس الزهـــرواي : كان طبيبًا فاضلاً خبيرًا بالأدوية المفردة والمركبة ، جيد العلاج ، وله تصانيف مشهورة في صناعة الطب، وأفضلها كتابه الكبير المعروف بالزهراوي ، ولخلف بن عباس الزهراوي من الكتب كتاب التصريف لمن عجز عن التأليف ، وهو أكبر تصانيفه وأشهرها، وهو كتاب تام في معناه" (34) ، وكتاب التصريف لمن عجز عن التأليف ، " يعتبر من أهم كتب الطب في العالم ، فهو كتاب طبي قيم ، له أثر على النهضة الطبية في أوروبا، ويقع هذا المرجع الطبي في ثلاثين جزءا ، وقد احتوى على أجـــزاء للجراحة ، وقد وصف بها كيفية استخراج الحصى من المثانة ، كما تناول عمليات الولادة ، ترجم كتابه إلى عدد كبير من اللغات كاللاتينية ، وقد نشـــر في أوروبا واطلع عليه طلاب الطب ، علما بأنه ترجم الكتاب على فترات متباعدة وعلى أجـــزاء متفرقة خلال الفترة الممتدة بين عامي 1471م إلى 1566م". (35) ،

وجهود الزهراوي في الجراحة محلَّ كتابات القدماء ، وظل العمدة في فـــن الجراحة حتى القرن السادس عشـــر، وباتت أفكاره حدثًا تحوُّليًّا في طرق العلاجات الطبية ؛ حيث هيأ للجراحة قدرة جديدة في شفاء المرضى أذهلت الناس في عصره وبعد عصره.

وقد اشتمل هذا البحث على صورة توضيحية لآلات الجراحة (أكثر من مائتي آلة جراحية)، كان لها أكبر الأثر فيمن أتى من بعده من الجراحين الغربيين، وكانت بالغة الأهمية على الأخص بالنسبة لأولئك الذين أصلحوا فن الجراحة في أوروبا في القرن السادس عشر؛ فقد ساعدت آلاته هذه على وضع حجر الأساس للجراحة في أوربا. (36).

وصف الزهراوي هذه الآلات والأدوات الجراحية التي اخترعها بنفسه للعمل بها في عملياته الجراحية ، ووصف كيفية استعمالها وطرق تصنيعها. (37)

اختراعاته وأدواته الطبية:

"قَام الزَّهراوي بِتصميم العَديد مِن الأَدوات وَالأجهزة الطِبية المُتنوعة، والتي مَا زالت تُستخدم حتى وَقتنا الحَالي وَلم تَشهد سِوي تَغييرات طَفيفة، وَقد اشتمل مَخطوطه (التَصريف لِمن عَجز عَن التّأليف) عَلى مَا يَزيد عَن مَائتي أَداة جِراحية مع الشرح بِالرُسومات التَوضيحية ، وَمن أَشهر أَمثلة هَذه الأَدوات؛ آلة رَقيقة مُصنّعة مِن الفِضة أو النحاس تُستخدم لإزاحة اللسان لِلأسفل لِتَشخيص أَمراض الحَلق ، ولإجراء عَملية استئصال اللوزتين؛ تِلك الأداة التي تُعرف الآن باسم (خَافض اللسان)، واختراعه الآلة

المُستخدمة فِي استئصال الزَوائد اللحمية في الأنف والتي عرّفها بـاسم (السَنانيرPolip)، كَما ابتكر- أيضاً - آلة سمّاها (لولبا) للكَشف عَلى الرحم ؛ وتُعرف الآن بـــ(المِنظار المِهبلي) المُستخدم فِي الفَحص النِسائي حَتى الوقت الحالي، (المَشارط) عَلى اختلاف أنواعها و(المَقصات) الجِراحية المُختلفة، و(الجِفت) ، وكذلك (الكَلاليب) التي تُستخدم في خَلع الأسنان، (الخطّافات المُزدوجة) التي تُستخدم فِي العَمليّات الجِراحيّة، (مَناشير العِظام). كَما يُنسب للزهراويُّ الحقنةَ العادية والتي سمَّاها (الزراقة) وَالحُقنة الشَرجية (Bulb syringe)، وَغيرها الكَثير والكَثير مِن الأَدوات الطِبية المُختلفة ، والتي أَصبحت النُواة التي طُوِّرَتْ بَعد ذلك بِقرون لتُصبح الأدوات الجِراحية الحَديثة". **(38)**

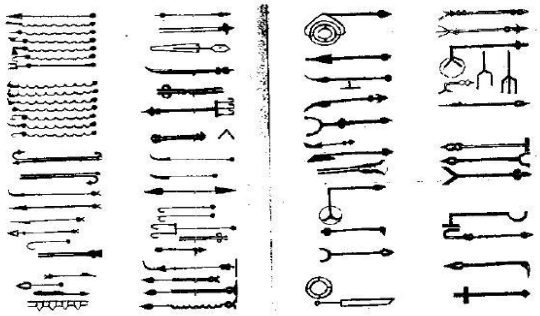

آلات الزهراوي في فرع الجراحة والجبر

أهـــم إنجازات الزهراوي الطبية:

"للزهـــراوي إضافات مهمة جدًّا في علم طب الأسنان وجراحة الفكَّيْنِ، وقد أفرد لهذا الاختصاص فصلاً خاصًّا به، شرح فيه كيفية قلع الأسنان بلطف، وأسباب كسور الفك أثناء القلع، وطرق استخراج جذور الأضراس، وطرق تنظيف الأسنان، وعلاج كسور الفكين، والأضراس النابتة في غير مكانها، وبرع في تقويم الأسنان فيقول عن قلع الأسنان: "ينبغي أن تعالج الضرس من وجعه بكل حيلة ، ويتوانى عن قلعه؛ إذ ليس منه خيف إذا قلع "، ثم يشير في حذق إلى أنه " كثيرًا ما يخدع العليلَ المرضُ ، ويظن أنه في الضرس الصحيح فيقلعها ثم لا يذهب الوجع حتى يقلع الضرس المريض"، وهكذا يصف الزهراوي -ربما لأول مرة في التاريخ الطبي- الألم المنتقل وخطره ؛ مما يضعه على مستوى عصري حتى اليوم". **(39)** " يَذْكُرُ التاريخُ للزهراويِّ أَنَّهُ كانَ الأوَّلَ في كَثيرٍ مِنَ الأشياءِ المُتَعَلِّقَةِ بالجراحةِ منها أَنَّهُ:

ـ أَوَّلُ مَن كَوَّنَ فريقًا طبيًّا جراحيًّا يَعملُ في مُستشفَى قُرْطُبَةَ مِن جَرّاحينَ مُتَخَصِّصينَ وطاقَمِ تَمريضٍ.
ـ أولُ مَن قامَ بِرَبْطِ الشرايينَ الكَبيرةَ لِمَنْعِ النزيفِ أثناءَ العملياتِ الجراحيةِ. ونجحَ في إزالةِ الدَّمِ مِن تَجْويفِ الصَّدْرِ، ومِنَ الجُروحِ الغائرَةِ بِوَجْهٍ عامٍّ. وقد سبقَ الزهراويُّ بذلكَ الرَّبْطِ للشرايينِ غَيْرَهُ مِنَ الأطباءِ الغربيين بستةِ قُرونٍ.
ـ أولُ مَن أجرَى عمليةَ القَسْطَرَةِ ووَصَفَها وابْتَكَرَ الأدواتِ المُستخدَمةِ فيها.
ـ أولُ مَن استخدمَ خُيوطًا مصنوعةً مِن أمعاءِ القِطَطِ لِخياطةِ الجروحِ.
ـ أولُ مَن ابتكرَ تَخييطَ الجُروحِ الداخليةِ بإبرتَيْنِ وخَيْطٍ واحدٍ مُثَبَّتٍ فيهِما، كي لا تَتْرُكَ الخياطةُ أثَرًا مَرْئِيًّا للجراحةِ، وأطلقَ الزهراوي على هذا العَمَلِ "إِلْمامَ الجُروحِ تَحْتَ الأَدَمَةِ"، ومازالتْ هذه التقنيةُ مَعمولاً بها إلى الآن.
ـ أولُ من طَبَّقَ فكرةَ رَفْعِ النِّصْفِ السُّفْلِيِّ للمريضِ أثناءَ الجراحةِ، فسبقَ الجرّاحَ الألمانيَّ "فريدريك تريدلينوبورج" الذي يُنْسَبُ إليهِ ذلكَ بِنَحْوِ ثمانمائةِ سنةٍ.
ـ أولُ من وَصَفَ الحَمْلَ المُنْتَبَذَ (الحملَ خارِجَ الرَّحِمِ).
ـ أولُ من اكتشفَ الطبيعةَ الوراثيةَ لمرضِ الناعورِ (مرضِ نَزْفِ الدَّمِ الوراثيِّ). (40)

شكل يوضح الزراقة والتي كانت من اختراع الزهراوي مع غيرها من الأدوات الطبية المبتكرة

ولم يَكُنْ نُبوغُ الزهراويِّ قاصِراً على التَّفَوُّقِ الجراحيِّ، بل نَبَغَ أيضاً في عِلْمِ الصيدلةِ، فوَصَفَ أنواعَ الأدويةِ وطُرُقَ صُنْعِها. ويُعَدُّ الزهراويُّ أَوَّلَ مَن صنعَ أقراصَ الدواءِ؛ فصنعَ قَوالِب مِنَ العاجِ والأبَنوسِ تُعْجَنُ العقاقيرُ وتُصَبُّ فيها لِتَصيرَ حُبوبًا.

أقـــــوال المستشرقين عـــــن الزهـــــراوي:

" وللزّهـــــراوي مكانة كبيرة لدى المستشرقين الذين كتبوا وصفوا عن علماء العرب - أيضاً - "يقول الفرنسي "لوبون" عنـــــه : "وأبو القاسم القرطبي المتوفى سنة 1107 م ، هو أشهر جـــرَّاحي العرب، وتخيل أبو القاسم كثيرًا من آلات الجراحة ورسمها في كتبه ، ووصف أبو القاسم عملية سَحْق الحصاة في المثانة على الخصوص فعُدَّت من اختراعات العصر الحاضر على غير حق. و"امتدح المُستشرقون الغَربيون العَالم المُسلم الزَّهـــراوي اعترافاً مِنهم بِفَضله وَسَبقه فِي العَديد مِن العُلوم الطِبية، وَأَثّنـــوا عَلى إنجازاته العِلمية العَظيمة، وَكان أَثـــره فِي أُوروبا عَظيماً، وَنَالتْ مُؤلفاته شُهرةً وَاسعة فِي العَالم الإسلامي وأُوروبا، وَوَصفه المُؤرِّخ وَالصَيدلي البلجيكي جُورج سَارتون بِأنَّه "أكبر جرَّاح فِي الإسلام"، وَقَال عَنه المُستشرق (جَاك رِيسلر) فِي كِتابه الحَضارة العربية: "شَـــرح الجَرّاح الكَبير الزهـــراوي عِلم الجِراحة وَابتكر طُرقاً جَديدةً فِي الجِراحة، امتد نَجاحها فِيما وَراء حُدود إسبانيا بكثير، وَكان الناس مِن جَميع أنحاء العَالم المَسيحي يَذهبون لإجراء العَمليات الجِراحية فِي قُرطبة، أيضاً وَصفته المُستشرقة الأَلمانية الدُكتورة زِيغريد هُونكة فِي كِتابها (شَمس العَرب تَسطع عَلى الغَرب) بِـ : "الجَرَّاح العَربي الكَبير"، وَأثنت عَلى مَخطوطه التَصريف وَذَكرت أَنّ لَه مَكانة كَبيرة كَكِتاب مَدرسي لِلجِراحة فِي مَدرستي سَاليرنو وَمُونبلييه وَغَيرهما مِن مَدارس الطب في أوروبا، وَكان فِيه صُور لألات طِبية تَأثّر بِها آخـــرون مِن العَرب، وَسَاعدت فِي وَضع أُسس الجِراحة فِي أُوروبا" . **(41)**

الخاتمـــــــــة:

فـــي خاتمة هذا البحث خلص البحث إلى االنتائج الآتية :

- الزهراوي العَالم المُسلم الطبيب الذي مَلأ الدنيا بِعلمه وَاختراعاته الطِبية ؛ والتي مَا زَال العَالم يَنهل مِنها وَيَجني ثِمارها حَتى وَقتنا الحَالي ؛ فَيُعد بحق مِثالاً فريداً عَلى عَظمة مَا وَصلت إليه الحَضارة الإسلامية ، فَرَحِم الله الزَّهـــراوي رَائد عِلم الجِراحة فِي العَالم.

- عرفت الأندلس تطـــوراً علمياً كبيراً في شتى المجالات، والطب ليس استثناء من ذلك، فقد شهدت دولة الأندلس تطورا طبيا عظيما نتج عنه إرث طبي عالمي نرى آثاره وفوائده إلى يومنا هذا، وذلك كان نتاج عمل وجهد أطباء وعلماء عظماء في الأندلس ، صنفوا الكتب ، واخترعوا الأمصال والعلاجات والأدوات الطبية ، فخلدوا أسماءهم بماء الذهب في التاريخ العلمي والحضاري.

ـ كان لتطور الطب في الأندلس عديد الأسباب منها : السياسية والعلمية والاقتصادية
ـ انتشرت بالأندلس المستشفيات العامة ، والعمل الصيدلي، ومحال الأعشاب ، حتى أصبحت الأندلس أكبر مركز طبي في العالم خلال القرون الوسطى، وساعد ذلك في تطور الحياة بشكل عام ، فاستشفاء الناس ساعدهم على العمل بشكل أفضل ، وتحسنت الصحة العامة والنظافة أيضاً.
ـ من العصور الزاهرة في الإسلام أسماء علماء عظماء نفتخر بإنجازاتهم ومساهمتهم الطبية والعلمية مثل ابن زهر ، والزهراوي ، والكتاني ، وابن خلدون، وابن إسحاق ، ابن رشد وابن جلجل...الخ.
ـ الإسهامات الطبية لهؤلاء العلماء دقيقة في مجال الطب ، فلم تكن مؤلفاتهم ومصنفاتهم نظرية فقط ، بل كانت تعكس تجارب مخبرية وميدانية ، ووصف لاستخدام الآلة والدواء، وكان الأطباء يتخصصون في علم الأدوية تارة ، وعلم الجراحة تارة أخرى.

ختاماً الحمد لله على نعمة العلم ، وما تفضل به على علماء أمة الإسلام ليقدموا لحضارة الانسان كل هذا الجهد ، وكل هذه العلوم، فاعترف العالم أجمع بفضلهم وجهودهم النفعة.

الهوامـــــــــــش :

1) لمياء بن عيسى، الطب في الأندلس خلال عهد ملوك الطوائف، جامعة بسكرة، الجزائر، 2022، ص18.
2) ابن منظور، أبوالفضل جمال الدين محمد مكرم، لسان العرب، دار صادر، بيروت لبنان، ج1، ص423.
3) الفيروز آبادي، مجد الدين يعقوب، القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة، بيروت لبنان، الطبعة الثامنة، 1462هـ، 2005م، ص108.
4) مختار القاموس، الطاهر أحمد الزاوي، الدار العربية للكتاب، ليبيا- تونس، (د،ط)، ص378.
5) سورنيا، جان شارل، ترجمة: البجلاتي، إبراهيم، تاريخ الطب، عالم المعرفة، الكويت، 1423هـ، 2002م، (د،ط)، ص 6.
6) ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد الحضرمي، المقدمة، دار الفكر، بيروت لبنان، (د، ط)، 1421هـ، 2001م، ص 65.
7) ابن تيمية، تقي الدين أحمد بن عبد الحليم)، مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، مجمع الملك فهد للطباعة، السعودية، 1425هـ/2004م، ج18، ص12.
8) الغزالي، أبو حامد، محمد بن محمد، إحياء علوم الدين، دار ابن حزم، 1426هـ/ 2005م، ص24.
9) عنب، محمد أحمد، رائدُ عِلم الجِراحة، العَالم والطبيب المُسلم أبو القَاسم الزَّهراوي، مجلة الرافد، الإمارات العربية المتحدة، 2020/12/3م، ص3.
10) غوستاف لوبون، حضارة العرب، ت: عادل زعيتر، مؤسسة هنداوي، القاهرة، مصر، 2012م، (د،ط)، ص:503.

11) حسن، محمد بشير، إبداعات الطب والصيدلة في الأندلس، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 2014م، ص7.
12) غوستاف لوبون، حضار العرب، ت: عادل زعيتر، مؤسسة هنداوي، القاهرة، مصر، 2012م، (د،ط)، ص509.
13) العامري، محمد بشير حسن راضي، إبداعات الطب والصيدلة في الأندلس، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 2014م، ص: 13-16.
14) السُمَيْسَر الألبيري، البيت العربي، قال الزركلي: (خلف بن فرج الألبيري، أبو القاسم، المعروف بالسميسر: شاعر هجاء، أصله من إلبيرة (Elvira) وبيته في غرناطة، أدرك الدولة العامرية وانقراضها)، الأعلام خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (ت 1396 هـ) دار العلم للملايين، الطبعة: الخامسة عشر 2002م، ج2 ص 311.
15) تألّق الأندلسيين في العلوم الطبيّة، سهى أبوعيون، موقع الدراسات الأندلسية، 2014م، تم الاطلاع: 2022/10/2م، http://souhabaayoun.com
16) المقري (أحمد بن محمد التلمساني)، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، دار صادر ، بيروت، 1388هـ/ 1968م، ص: 423.
17) الطب في الأندلس خلال عهد ملوك الطوائف، لمياء بن عيسى، 2022، جامعة بسكرة، ص: 29/25.
18) سعد عبد الله البشري، الحياة العلمية في عصر ملوك الطوائف في الأندلس، جامعة أم القرى، 1982م، ص 178.
19) عبد الحميد أبو عبية، الحضارة الإسلامية، دار الكتب العلمية، 2004، ص671.
20) إبلاغ، محمد، الرياضيات في الأندلس، تحرير عبد الله الزيدان، مطبوعات مكتبة الملك عبد العزيز، الرياض، ط1، 1417هـ/ 1996م، ص74.
21) ابن جلجل الأندلسي، سليمان بن حسان، طبقات الأطباء والحكماء، تحقيق: فؤاد سيد، مؤسسة الرسالة، بيروت لبنان، الطبعة الثانية، 1985م. ص: 98، ص103، ص103، ص108، ص110.
23) العامري، محمد بشير حسن راضي، إبداعات الطب والصيدلة في الأندلس، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2014م، ص18.
24) غوستاف لوبون، حضار العرب، ت: عادل زعيتر، مؤسسة هنداوي، القاهرة، مصر، 2012م، (د،ط)، ص:507.
22) إبن أبي صبيعة، أبي العباس بن القاسم بن يونس السعدي، عيون الانباء في طبقات الأطباء، دار المعارف، ط1، 1996م، ص582.
23) نعيمة، عمراي، شاهيناز، سديرة، مهنة الطب في الاندلس من خلال الاحكام الكبرى، لابن سهل الاندلسي، جامعة محمد بوضياف، الجزائر، 2017، رسالة ماجستير، ص23، ص27.
24) عيسى، أحمد، تاريخ البيمارستنات في الإسلام، مؤسسة الهنداوي، القاهرة، مصر، 2012م، (د،ط)، ص189.
25) عميرة، أحمد بن يحي الضبي، بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، دار الكاتب العربي – القاهرة، 1967 م، رقم 517 ص 286
26) الزهراوي، أبوالقاسم خلف بن عباس، التصريف لمن عجز عن التأليف، وزارة الثقافة، عمان، الأردن، 1421م،2001م، ص:25، *Ahmad, Z. (St Thomas' Hospital) (2007) "Al-Zahrawi - The Father of Surgery", ANZ Journal of Surgery, P77*
27) الجيوسي، سلمى، الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس، مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة الثانية: بيروت، نوفمبر 1999، ص2.
28) لمياء بن عيسى، الطب في الأندلس عهد ملوك الطوائف، جامعة بسكرة، 2022، ص41.
29) قاسم، أمجد، حياة الزهراوي ومؤلفاته، مقال منشور بتاريخ: 2021/5/16م، مجلة آفاق العلمية والتربوية، تم الاطلاع عليه: 2022/10/22م، ص1.

30) عبد الله عبد الرازق مسعود السعيد، رواد الطب عند المسلمين والعرب (الزهراوي طبيب وجراح الفم والأسنان)، وموسوعته الطبية التصريف لمن عجز عن التأليف، وزارة الثقافة، عمان، الأردن، ط1، 2001م)، ص1.
31) الزركلي، خير الدين محمد بن محمود بن محمد بن علي بن فارس الزركلي الدمشقي، الأعلام، دار العلم للملايين، الطبعة: الخامسة عشر 2002م، ج2 ص 310.
32) مصطفى، زينب دارة المعرفة، الزهراوي أبو علم الجراحة الحديثة، نشرت بتاريخ: 2018/2/24م، ص1. https://daratalmarifah.wordpress.com/2018/02/24/zahrawi/
33) شوقي أبو خليل: علماء الأندلس إبداعاتهم المتميزة وأثرها في النهضة الأوربية، دار الفكر، ط1، 2004، ص31.
34) إبن أبي صبيعة، أبي العباس بن القاسم بن يونس السعدي، عيون الانباء في طبقات الأطباء، دار المعارف، ط1، 1996م، 246/3.
35) غوستاف لوبون، حضار العرب، ت: عادل زعيتر، مؤسسة هنداوي، القاهرة، مصر، 2012م، (د،ط)، ص507.
36) جلال مظهر، حضارة الإسلام، مركز كتب الشرق الأوسط، ص332.
37) عامر النجار: في تاريخ الطب في الدولة الإسلامية، دار المعارف، ط3، 1994م، ص176.
38) جاك. س. ريسلر، الحضارة العربية، ترجمة غنيم عبدون، الدار المصرية للتأليف والنشر، القاهرة، ص 207-208.
39) محمد كامل حسين: الموجز في تاريخ الطب والصيدلة عند العرب، المنظمة العربية للثقافة والعلوم، ص201.
40) إلهام معتصم البشير، زين العابدين علي محمد، دور أبي القاسم الزهراوي في تطوير طب الأسنان، (مفكرون، مقال بعنوان أبوالقاسم الزهراوي، نشر بتاريخ: 5 يوليو 2021م، تم الاطلاع عليه: 2022/11/6م، ص3.
41) (زيغريد هونكة، شمس العرب تسطع على الغرب، ترجمة فاروق بيضون؛ كمال دسوقي، دار الأفاق الجديدة، ودار الجيل ببيروت، ط8، 1993م، ص124.

* عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد امللك بن مروان بن الحكم بن أب العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، كنيته (أبوالمطرف)، ولد بدمشق 112 هـ، وكان فصيحاً وبليغاً، راجح العقل، راسخ العلم، دخل الأندلس وملكها، توفي سنة 172هـ. (مجهول، تاريخ الأندلس، تحقيق: بوباية عبد القادر، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، 2007م/ 1428هـ، ص: 170/160 بتصرف واختصار (ذكر عبد الرحمن بن معاوية).

** من أهل عين زربة ، شامي يوناني، وهو أعلم من تكلم في أصل علاج الطب، وهم علم في العقاقير المفردة، ابن جلجل، طبقات الحكماء والأطباء، ص: 21.